﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٥﴾ [يوسف: 15]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لا يَدَعُ اللهُ مظلومًا حتى ينصرَهُ، ولا مفجوعًا حتى يسلِّي قلبه ويطمئنه

لَمَّا قَصَّ اللهُ سبحانه تحقيق الإخْوَة للشقِّ الأوَّل من مؤامرتهم - بتدليسهم على أبيهم وتحايلهم عليه ليصطحبوا يوسف ﷺ معهم - ذكر هنا تحقيقهم للشقِّ الأصيل في المؤامرة؛ حيث اتفقوا جميعًا على التخلّص منه بإلقائه في قعر البئر؛ متجرّدين بذلك من معاني الإخوة كلِّها، ثمّ بيّن سبحانه لطفه ورحمته بعبده يوسف؛ حيث كشف له عن بعض الغيب؛ ليريح صدرَه، ويُثَبِّتَ فؤادَه[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَأَجۡمَعُوٓاْ﴾: الجمع: ضدُّ التَّفريق، وهو ضمُّ شيء بتقريب بعضه من بعض[2]. وأصله يدلُّ على تضامٍّ في الشَّيء[3]. وجَمَع أمرَه، وأَجْمَعه، وأَجْمَع عليه: أعدَّ للأمر وعزم عليه كأنَّه جَمَعَ نفسه له[4].

"و(أَجْمَعَ) أكثر ما يقال في المعاني، و(جَمَعَ) في المعاني والأعيان؛ فيقال: جمعتُ أمري، وجمعتُ قومي" ويُقال: أجمعتُ أمري، ولا يُقالُ أجمعتُ قومي[5]. "وأجمعتُ كذا أكثر ما يُقال فيما يكون جمعًا يُتَوَصَّل إليه بالفكرة"[6].

---

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/427، وأبو حيَّان، البحر المحيط: 6/247، والبقاعي، نظم الدّرر: 10/28، والآلوسي، روح المعاني: 6/388 التحرير والتنوير: 12/233، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/309.

(2) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والراغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (جمع).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (جمع).

(4) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيدي، تاج العروس: (جمع).

(5) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (جمع).

(6) الراغب، المفردات: (جمع).

2) ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾: الوَحْي: الإشارة، والكتابة، والإلهام، والكلام الخفي، وكلُّ ما تُلقيه إلى غيرك[1]. وأصله من إلقاء العِلْم في خفاء وسرعة[2]. والفاشي في القرآن أن يأتي من الفعل الرُّباعي أوحَى يُوحِي، وفي غير القرآن وَحَيتُ أَحِي[3].

ويقال للكلمة الإلهيَّة التي تُلقى إلى أنبيائه وأوليائه - وَحْيٌ، ولذلك أَضْرُبٌ حسبما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى: 51] فإمَّا برسولٍ مشاهَدٍ يُرى ويُسمَع؛ كتبليغ جبريل عليه السلام للنَّبي ﷺ في صورة معينة، وإما بسماع كلام من مُعَايَنةٍ كسماع موسى عليه السلام كلامَ الله، وإما بإلقاءٍ في الرُّوع، كما ذَكر ﷺ: «إنَّ روح القدس نفث في رُوعي...»[4]. وإما بإلهام، نحو: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: 7]. وإما بتسخيرٍ نحو قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: 68]. أو بالمنام، كقوله ﷺ: «لم يبقَ من النُّبوة إلَّا المُبَشِّرات، الرؤيا الصَّالحة»[5]. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بمعنى الإلهام[6].

3) ﴿يَشْعُرُونَ﴾: شَعَر به يَشعُر شِعْرًا وشَعْرًا وشُعُورًا: عَلِم به وفطِن له[7]. وأصله من العِلم والعَلَم[8]. ومنه الشِّعار أيضًا، وهو الذي يتنادى به القوم في الحرب ليعرف بعضهم بعضًا[9].

و"شعرت كذا، أي: علمت علمًا في الدِّقة كإصابة الشَّعَر، وسُمِّي الشَّاعر شاعرًا لفطنته ودقَّة معرفته، فالشِّعر في الأصل اسم للعِلْم الدَّقيق"[10].

(1) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (وحي).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (وحي).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة: (وحي).
(4) البيهقي، شعب الإيمان، حديث رقم: (9891).
(5) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (وحي). والحديث: أخرجه البخاري، رقم: (6990).
(6) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 9/142، والآلوسي، روح المعاني: 6/389.
(7) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (شعر).
(8) ابن فارس، مقاييس اللغة: (شعر).
(9) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (شعر).
(10) الراغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (شعر).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

في خضمِّ الآلام تـأتي نسائم السَّكينة والسَّلام

يكشف البيان القرآنيُّ ما دار بين إخوة يوسف، وما أخفته ضمائرهم نحوه، فإنّهم لمَّا مضوا به بعيدًا عن أبيه وأجمعوا رأيَهم وعزمهم على إلقائه في قعر البئر، فأنْفَذوا ما عزموا عليه، أوحى الله إلى يوسف؛ تطييبًا لقلبه وتثبيتًا له لتخبرنَّهم مستقبلًا بفعلهم هذا الَّذي فعلوه بك، من حيث لا يعلمون بوحي الله تعالى لك[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة الفاء في: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ﴾:

أجاب الأب طلب أبنائه؛ فخرجوا في صحبة أخيهم

الفاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا﴾ للتَّفريع على كلام مقدَّر[2]، فهي عاطفة، والمعطوف عليه محذوف، يُفهم من سياق القصة، وتقديره: فأجابهم إلى ما سألوه، فأرسله معهم[3]، وفائدتها ترتيب ما بعدها على ما قبلها، أيْ: ترتيب أَخْذِهِ بعد إقناع الأب أن يأخذوه[4].

فقوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ﴾ تفريعٌ لحكاية الذَّهاب به والعزم على إلقائه في الجبِّ، على حكاية المحاورة بين يعقوب عليه السلام وبنيه، في محاولة الخروج بيوسف عليه السلام إلى البادية. ويُؤْذِنُ هذا بجُملٍ محذوفة فيها ذِكر أنَّهم ألَحُّوا على يعقوب عليه السلام حتى أقنعوه، فأَذِنَ ليوسف بالخروج معهم؛ ففيه إيجاز بالحذف. والمعنى: فلما أجابهم يعقوب عليه السلام إلى ما طلبوا وأرسل معهم يوسف؛ ذهبوا به[5].

توجيه (لَمَّا) التابعة للفاء، ودلالتها:

حين غادر الأبناء مكان أبيهم شرعوا في إيذاء أخيهم

(لَمَّا) شرطيَّة حينيَّة، وهي حرف وجود لوجود، يطلب الشَّرط

(1) ابن جرير، جامع البيان: 13/29، والهرري، الحدائق: 13/332.
(2) طنطاوي، الوسيط: 7/328.
(3) أبو حيان، البحر المحيط: 6/247، ودرويش، إعراب القرآن وبيانه: 4/461.
(4) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/3809.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/233.

والجواب[1]، وجوابها هنا مُخْتَلَفٌ فيه: فقيل: جوابها محذوف[2]؛ إيذانًا بظهوره وإشعارًا بأنَّ تفصيله ممَّا لا يحويه فلَكُ العبارة[3]، وللدِّلالة على فجاعة الأمر وفظاعته وفداحته؛ فما حدث لا تشرحه العبارة، ولا تكفي فيه الإشارة[4]. وقد دلَّ عليه قوله: ﴿أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ ٱلْجُبِّ﴾[5].

وقيل: جواب ﴿فَلَمَّا﴾ هو قولهم: ﴿قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾[6]؛ أي: لمَّا كان كيت وكيت؛ قالوا. وهو تخريج حسن[7].

وقيل: هو قوله تعالى ﴿وَأَجْمَعُوٓاْ﴾ باعتبار زيادة الواو للتَّوكيد. والمعنى: فلمَّا ذهبوا به أجمعوا[8].

وقيل: هو قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ باعتبار زيادة الواو أيضًا كما زيدت في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۝١٠٣ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ﴾ أي: ناديناه، وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ﴾ [الزمر: 73] أي: فُتِحَتْ. وهذا مذهب الكوفيِّين[9].

وفي هذا دلالة على أنَّ أمر الوحي إلى يوسف كان في صغره، أي: بعد أن ذهبوا به بعيدًا عن أبيه وبعد أن اجتمعوا على إيذائه.

إيثار لفظ الذّهاب، وفائدة تعدّيه بالباء:

الفرق بين المضيِّ والذَّهاب أنَّ المضيَّ خلاف الاستقبال، ولذا يقال ماضٍ ومستقبل، وليس كذلك الذَّهاب[10]؛ لأنَّ في الذَّهاب انتقالًا من مكانٍ إلى آخر.

تـــرك الأبـنـــاء مكان أبيهم ﷺ مصاحبين ولده

(1) ابن عجيبة، البحر المديد: 2/579.
(2) ابن عجيبة، البحر المديد: 2/579.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 4/258.
(4) الشوابكة، غرر البيان، ص: 35.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/233.
(6) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 9/142.
(7) أبو حيان، البحر المحيط: 6/248.
(8) ابن جرير، جامع البيان: 13/30.
(9) أبو حيان، البحر المحيط: 6/248.
(10) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص: 306.

و(الباء) في قوله ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ﴾ بمعنى الإلصاق؛ فـ ﴿ذَهَبُواْ بِهِۦ﴾ ؛ أي: ملصقين ذهابهم به[1]؛ وفي الإلصاق إشارة إلى الإكرام والحفاوة التي أبدَوها في أوَّل أمرهم؛ إذ كانوا تحت عين أبيهم ﷺ، حيث جعلوا يحملون يوسف ﷺ على عواتقهم إكرامًا له، وسرورًا به، فلمَّا أبعدوا به عن العيون ألقَوه في الجبّ غير عابئين به[2].

فهناك فرقٌ بين تعدية الفعل بالهمزة وتعديته بالباء؛ فإنك إذا قلت: (ذهبت بزيد)؛ كنت مصاحبًا له في الذهاب[3].

ويقول الزمخشري رحمه الله: الفرق بين أذهبه وذهب به، أن معنى أذهبه: أزاله وجعله ذاهبًا، ويقال: ذهب به إذا استصحبه ومضى به معه. وذهب السلطان بماله: أخذه؛ فقوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ﴾ معناه: أمسَكوه وأخذوه ومضَوا به معهم؛ فهو أبلغ من الإذهاب[4].

عطف جملة ﴿وَأَجْمَعُوٓاْ﴾ على ما قبلها:

الواو في قوله ﴿وَأَجْمَعُوٓاْ﴾ عاطفة، فقوله ﴿وَأَجْمَعُوٓاْ﴾ عطفٌ على ﴿ذَهَبُواْ﴾. وقد تكون الواو للحال، والجملة حاليَّة بتقدير: (قد)[5].

تدبير الله لعبده سابق لكيد الكائدين به

ويمكن حصر معاني الواو في قوله ﴿وَأَجْمَعُوٓاْ﴾ حسب توجيه جواب (لمَّا) الحينية، لاستكناه معنى العطف في الآية الكريمة كما يلي:

أولًا: أن يكون جواب (لمَّا) محذوفًا يدلُّ عليه قوله ﴿أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾؛ فالواو هنا تعطف إجماعهم على ذهابهم بأخيهم[6].

ثانيًا: أن يكون جواب (لمَّا) مذكورًا، ويكون قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾؛ أي: لمَّا كان كيت وكيت؛ قالوا[7]. فتكون

(1) البقاعي، نظم الدرر: 10/28.
(2) العليمي، فتح الرحمن: 3/401.
(3) السامرائي، معاني النحو: 3/20.
(4) الزمخشري، الكشاف: 1/74.
(5) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 4/461.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/233.
(7) أبو حيان، البحر المحيط: 6/248.

الواوات في قوله: ﴿وَأَجۡمَعُوٓاْ﴾، ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ﴾، ﴿وَجَآءُوٓ﴾ للعطف: عطف إجماعهم على إيذائه على ذهابهم به، ثم عطف الوحي إليه على إجماعهم، ثم عطف مجيئهم إلى أبيهم على وحي الله إليه. وبهذا العطف المتتالي يتجلَّى اتِّصال هذه الأحداث بعضها ببعض، ويتبيَّن ترابطها كارتباط الأسباب بمسبَّباتها.

أو يكون قوله ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ﴾ باعتبار زيادة الواو[1]. فتكون الواو عاطفة لاجتماع كلمتهم على إيذائه على ذهابهم به. ويعني هذا أيضًا أنَّ وحي الله إلى يوسف كان بعد أن ذهب به إخوته وأجمعوا على إيذائه.

سرّ تعدية الفعل ﴿وَأَجۡمَعُوٓاْ﴾ بنفسه:

قال الكسائي: يقال أَجْمَعْتُ الأمرَ وعلى الأمرِ، إذا عزمتَ عليه[2]. وجمع أمره وأجمعه وأجمع عليه: عزم عليه كأنَّه جمع نفسه له[3].

حين انقطعت عن يوسف عليه السلام مراعاة أبيه

و﴿وَأَجۡمَعُوٓاْ﴾ هنا؛ أي: عزموا واتَّفقوا على إلقائه في الجبِّ[4] فآثر تعدية الفعل بنفسه، فقد عزموا جميعًا على أمرٍ واحد وكأنَّهم رجلٌ واحد جمع نفسه له رغم تعدُّد آرائهم أوَّلَ الأمر؛ فقول الحقِّ: ﴿وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ﴾ يدلُّنا على أنَّ تلك المسألة أخذت منهم مناقشة، فيها أخذ وردٌّ، إلى أن استقرُّوا عليها[5].

ويدلُّ التعبير بـ ﴿وَأَجۡمَعُوٓاْ﴾ على أنَّهم كانوا لا يزالون مختلفين في أمره حتى تلك اللَّحظة التي ألقوه فيها في غيابة الجبِّ[6].

هذا.. وفي قوله: ﴿وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ﴾ تعظيمٌ لمَا

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 6/248.
(2) الجوهري، الصحاح: (جمع).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (جمع).
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 6/247.
(5) الشّعراوي، تفسير الشعراوي: 11/6879.
(6) الهلال، الثري الجامع: 5/321.

فعلوه من جرم؛ فإنَّهم اتَّفقوا كلُّهم على إلقائه في أسفل ذلك الجبِّ، وقد أخذوه من عند أبيه فيما يظهرونه له إكرامًا له، وبسطًا وشرحًا لصدره، وإدخالًا للسُّرور عليه[1].

إيثار التَّعبير بالمصدر المؤول ﴿أَن يَجْعَلُوهُ﴾:

دلالـــة عـلى تعمُّد الحدث في المستقبل، واستحضارهم مشهد الظُّلم ورضاهم به

المصدر المؤوَّل ﴿أَن يَجْعَلُوهُ﴾ في محلِّ جرٍّ بحرف محذوف؛ أي: على أن يجعلوه، هذا الحرف متعلِّق بالفعل ﴿وَأَجْمَعُوٓاْ﴾ بتضمينه معنى (عزموا)[2].

والتَّعبير بالمصدر المؤول ﴿أَن يَجْعَلُوهُ﴾ من ﴿أَن﴾ المصدرية والمضارع ﴿يَجْعَلُوهُ﴾ فيه دلالة على تعمّدهم الحدث في زمن مستقبل لإجماعهم، وفيه استحضار لمشهد الظُّلم الذي وقع على يوسف ﷺ وكأنَّ إخوته كلَّما وجدوا سبيلًا لخروجه من البئر؛ قطعوه وأغلقوه عليه.

سرّ استعمال الفعل ﴿يَجْعَلُوهُ﴾:

قـطـعـوا عنه أسباب النجاة وأنَّى يضيع من كـان في معية الله

الجعل: إيجاد ما به يصير الشَّيء على خلاف ما كان عليه، ونظيره التَّصيير والعمل[3]. ولا شكَّ أنَّ فعلهم في يوسف ﷺ صيَّره داخل الجبِّ؛ فقد قطعوا عنه أسباب الخروج كلَّها.

وكأنَّهم أرادوا أن يبقى معزولًا إلى الأبد. فعبَّر عن الجعل دون الإلقاء الذي قد يعقبه انتشال وإنقاذ، بخلاف الجعل الذي يتضمَّن التصيير على التَّأبيد.

والجعل يجوز أن يكون بمعنى: الإلقاء، وأن يكون بمعنى التَّصيير، فعلى الأوَّل يتعلَّق ﴿فِي غَيَٰبَتِ﴾ بنفس الفعل قبله، وعلى الثَّاني بمحذوف[4].

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/374.
(2) محمود صافي، الجدول: 6/393.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 10/28.
(4) السمين، الدر المصون: 6/454.

نكتة التعبير بالضمير الغائب:

عبَّر عن يوسف ﷺ بالضَّمير الغائب في ﴿بِهِۦ﴾، و﴿يَجْعَلُوهُ﴾، و﴿إِلَيْهِ﴾، دون الاسم الظاهر (يوسف)؛ فإهمال ذِكره إشارة إلى إهمال إخوته أمره، والتَّعبير بالضَّمير جاء مناسبًا تمام المناسبة لإهمالهم شأنه بعد أن ذهبوا من أمام عين أبيهم؛ فلمَّا اختفَوا عن أبيهم أهملوا يوسف وتركوه على الأرض.

إذا تملَّك الحقد من القلب طوى الفضيلة وأعمى البصيرة

دلالة الحرف ﴿فِى﴾:

التعبير بالحرف ﴿فِى﴾ الدالِّ على الظرفيَّة في قوله تعالى: ﴿أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾؛ فيه إشارة إلى أنَّ يوسف ﷺ أدخل البئر في عمقها، ولم يكن له مخرج ينجيه من وحشتها وظلمتها، بحيث أحاطت به من كلِّ جهة فكانت كالظَّرف الذي يحوي ما فيه.

دلالة حذف جواب (لَمَّا):

جواب (لَمَّا) محذوف يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾[1]. وفي الجملة إيجاز خاصٌّ بالقرآن. أي: تقليل في اللفظ لظهور المعنى؛ فالمعنى: أجابهم يعقوب ﷺ إلى ما طلبوا وأرسل معهم يوسف.

كم في الحذف من تعبير وتهويل

فحذف الجواب[2]. والتَّقدير: فلمَّا ذهبوا به من عند أبيهم وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجبِّ جعلوه فيها[3].

دلالة الواو في: ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾، وأثرها في المعنى:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾ عاطفة، وهذا يعني أنَّ الإيحاء إلى يوسف ﷺ كان في الجبِّ وله سبع عشرة سنة أو دونها تطمينًا لقلبه، ولم يكن هذا الإيحاء إيحاءَ نبوَّةٍ[4].

لله هذه البشارة في هذا الوقت العصيب! ما أبردها على قلب يوسف! وما أحوجه إليها!

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/233.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/233.
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 9/142.
(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 4/461.

فجملة ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ﴾ إما معطوفة على جملة ﴿وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ﴾؛ لأنَّ هذا الموحى من مهم عِبَرِ القصة. وإمَّا هي جواب (لما) وقد قيل بمثل ذلك في قول امرئ القيس:

فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الحَيِّ وانْتَحَى *** بِنا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي قِفافٍ عَقَنْقَلِ[1]

وقوله: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ﴾ له معنيان: **أحدهما**: أنَّ المراد منه الوحي والنبوَّة والرِّسالة وهذا قول طائفة عظيمة من المحقِّقين، ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في أنَّه عليه السلام هل كان في ذلك الوقت بالغًا أو كان صبيًّا؛ قال بعضهم: إنَّه كان في ذلك الوقت بالغًا وكان سنُّه سبع عشرة سنة، وقال آخرون: إنَّه كان صغيرًا إلا أنَّ الله تعالى أكمل عقله وجعله صالحًا لقبول الوحي والنبوة[2]، كما أوحى إلى يحيى وعيسى عليهما السلام؛ أوحي إليه ليؤنَس في الظُّلمة والوحشة، ويبشَّر بما يؤول إليه أمره. ومعناه: لتتخلَّصنَّ ممَّا أنت فيه، ولتحدِّثنَّ إخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون أنَّك يوسف لعلوِّ شأنك وكبرياء سلطانك، وبُعد حالك عن أوهامهم، ولطول العهد المبدِّل للهيئات والأشكال[3].

والآخر: أنَّ المراد من هذا الوحي الإلهام كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾ [القصص: 7] وقوله: ﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾ [النحل: 68]. وأمَّا إتيان جبريل عليه السلام فكان بعد هذا[4].

والأوَّل أظهر؛ لأنَّ الظَّاهر من الوحي ذلك. ولا يمتنع أن يشرِّفه الله تعالى بالوحي والتنزيل ويأمره بتبليغ الرِّسالة بعد أوقات، ويكون فائدة تقديم الوحي تأنيسه وتسكين نفسه وإزالة الغمِّ والوحشة عن قلبه[5].

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/233.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/428.
(3) الزمخشري، الكشاف: 2/450.
(4) السمعاني، تفسير القرآن: 3/14.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 18/428.

عود الضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾، وأثره في المعنى:

حصل له الوحي من قبل مولاه

الضَّمير في قوله: ﴿إِلَيْهِ﴾ عائد إلى يوسف ﷺ في قول أكثر المفسرين مقتصرين عليه[1]. وفيه دليل على نبوَّة يوسف ﷺ في ذلك الوقت، وبهذا يكون الوحي تقويةً لقلبه، وتبشيرًا له بالسَّلامة[2]. وكأنَّه قيل له: إنَّك لا تحزن ممَّا أنت فيه، فإنَّ لك من ذلك فرجًا ومخرجًا حسنًا، وسينصرك الله عليهم، ويُعليك ويرفع درجتك، وستخبرهم بما فعلوا معك من هذا الصَّنيع[3].

وقيل إنَّ الضَّمير عائد إلى يعقوب ﷺ[4]. والمعنى: أوحى الله تعالى إلى يعقوب ﷺ ما فعلوه بيوسف، وأنَّه سيعرِّفهم بأمره، وهم لا يشعرون بما أوحى الله إليه[5].

والأظهر أنَّه عائد على يوسف، ويدلُّ على ذلك قوله لهم: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾﴾[6] [يوسف: 89].

دلالة اللام في: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾، وإيثار التعبير بالإنباء:

اللام موطِّئة للقسم، والإنباء خبر عظيم صادق

قوله تعالى: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾؛ أي: وعزَّتي وجلالي لتخبرنَّ يا يوسف إخوتَك بصنيعهم هذا الذي فعلوه بك، بعد خلوصك ممَّا أرادوه بك من الكيد، وأنزلوه عليك من الضَّرر[7]، ولتحدِّثنَّهم بما فعلوا بك[8].

وجملة ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾ بيانٌ لجملة أوحينا، وأكدت باللام (لام القسم) ونون التوكيد؛ لتحقيق مضمونها سواءٌ كان المراد منها الإخبار عن المستقبل أو الأمر في الحال.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/234.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 9/142.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/374.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/234.
(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 9/142.
(6) أبو حيَّان، البحر المحيط: 6/248.
(7) الهرري، حدائق الروح والريحان: 13/333.
(8) النسفي، مدارك التنزيل: 2/99.

فعلى الأوَّل فهذا الوحي يحتمل أن يكون إلهامًا ألقاه الله في نفس يوسف عليه السلام حين كيدهم له.

ويَحْتَمِلُ أنَّه وحيٌ بواسطة المَلَك فيكون إرهاصًا ليوسف عليه السلام قبل النبوَّة رحمة من الله؛ ليزيل عنه كربه، فأعلمه بما يدلُّ على أنَّ الله سيُخلِّصه من هذه المصيبة وتكون له العاقبة على الذين كادوا له. وإيذانٌ بأنه سيؤانسه في وحشة الجبِّ بالوحي والبشارة، وبأنَّه سينبِّئ في المستقبل إخوته بما فعلوه معه، كما تُؤْذِنُ به نون التوكيد إذا اقترنت بالجملة الخبرية، وذلك يستلزم نجاته وتمكُّنه من إخوته؛ لأنَّ الإنباء بذلك لا يكون إلا في حال تمكُّنٍ منهم وأَمْنٍ من شرِّهم[1].

نكتة وصف الأمر باسم الإشارة في: ﴿بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾:

المراد بـ ﴿بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾: إيذاؤهم له وإلقاؤهم إيَّاه في قعر الجبِّ، وقد أشار إليه ولم يُصرَّح به لشدَّة شناعته[2].

الله قريب من يوسف عليه السلام ومطَّلع على ما يفعله إخوته

وفي الإشارة إلى (الأمر) باسم الإشارة للقريب ﴿هَٰذَا﴾؛ دلالة على أنَّ الله قريب مطَّلع يرى ما يقترفونه من إيذاء يوسف، وهذا طمأنة لقلب يوسف في هذه السنّ الصغيرة بأنّ الله معه يسمع ويرى ما يكيدون به، وأنه لن يترك هذه الجريمة بغير حساب.

إعراب جملة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، ودلالتها:

علوُّ شأنه عليه السلام حال دون شعور إخوته بأنَّه يوسف

جملة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: حال من قوله: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾؛ والمعنى: غير عالمين أنَّك يوسف وقت التَّنبئة[3]. أي: لتخبرنَّهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون أنَّك أخوهم، بل في حالة يحسبونه مُطّلِعًا على المغيَّبات متكهِّنًا بها، وذلك إخبارٌ بما وقع بعد سنين ممَّا حكي في

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/234.
(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 7/328.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/248.

هذه السورة بقوله تعالى: ﴿قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [يوسف: 89- 90] الآيتين[1].

ويجوز أن يكون ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ حالًا من قوله: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ﴾؛ أي: وهم لا يشعرون؛ أي: بإيحائنا إليك وما أخبرناك به من نجاتك وطول عمرك، إلى أن تنبِّئهم بما فعلوا بك[2]. والفائدة في استتار الوحي عنهم أنَّهم لو وقفوا على الوحي وعلموا أنَّ مدَّة يوسف تطول، وأنَّ أمره يقوى جاز أن يسبق إلى قلب بعضهم من الحسد ما لعلَّه أن يقدم على إيقاع بليَّة بيوسف في وقت إخباره إيَّاهم بصنيعهم، فإنَّ الله تعالى ألزم يوسف ألَّا يُطلع أباه ولا أحدًا من إخوته على نسبه وموضعه، ليوبِّخهم على ما سلف من عقوقهم، ويعد عليهم ما فرط من إساءتهم، فهم لا يعرفون عنه، ولا يعرفون أنَّه أخوهم[3].

وعلى احتمال عود ضمير إليه على يعقوب عليه السلام فالوحي هو إلقاء الله إليه ذلك بواسطة الملك، والواو أظهر في العطف حينئذ فهو معطوف على جملة ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ﴾ إلى آخرها ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ﴾ قبل ذلك. و﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾: أَمْرٌ، أي: أوحينا إليه نَبِّئْهُم بأمرهم هذا، أي: أَشْعِرْهم بما كادوا ليوسف عليه السلام، إشعارًا بالتَّعريض، وذلك في قوله: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ١٣﴾ [يوسف: 13]. وجملة ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ على هذا التقدير حال من ضمير جمع الغائبين، أي وهم لا يشعرون أنَّنا أوحينا إليه بذلك[4].

إيثار التعبير بالشعور في: ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾:

معنى الشعور هنا هو الإدراك بالحواسّ. وقوله تعالى: ﴿وَهُمۡ

باطل الغافلين يفضحهم، ويخزيهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/234 - 235.
(2) أبو حيَّان، البحر المحيط: 6/248.
(3) الواحدي، التفسير البسيط: 12/42.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/234 - 235.

﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ معناه: لا يدركونه بالحواسّ[1]. وآثر استخدام ﴿يَشْعُرُونَ﴾ وليس (يعلمون)؛ لأنَّ العلم إدراك الشيء بحقيقته[2]. وبالنسبة لإخوة يوسف لم ينتابهم شعور بقرابته ولم يستطيعوا معرفته ولو بالحواسّ؛ لذا نفى الله تعالى عنهم الشعور ولم يقل (لا يعلمون)؛ لأنَّ نفي العلم لا ينفي الشّعور. أما نفي الشّعور فينفي العلم أيضًا[3].

ولو قال في كثير ممّا جاءَ فيه ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾: لا يعقلون؛ لم يكن يجوز؛ إذ كان كثيرا ممّا لا يكون محسوسًا قد يكون معقولاً[4]. وهذا دليل على التباين العظيم بين حالَي يوسف ﷺ؛ فالمتحكِّم في توزيع الميرة والطعام الذي يأتيه النّاس من كل فجٍّ عميق هو هو الفتى الذي ألقوه في البئر بعد ضربه وإهماله.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإيحاء والإعلام:

الإيحاء فيه إخفاء، والإعلام أعمُّ منه

أصل الوحي في اللغة: الإعلام في خَفاء، ولذلك صار الإلهام وحيًا، ويتضمَّن الوحي معنى السرعة[5]. أمّا الإعلام فاختصّ بما كان بإخبار سريع، ولكن لا يُشترط فيه أن يكون في خفاء[6]. ولمّا كانت حال إخوة يوسف أنّهم لا يشعرون بما أَلهمه الله وأَعلمَه إياه[7]، أوثِر لفظ الإيحاء دون الإعلام؛ لأنَّ الإيحاء يتضمَّن معنى الإخفاء.

(1) الراغب، المفردات: (شعر).
(2) الراغب، المفردات: (شعر).
(3) السامرائي، لمسات بيانية: 6/62.
(4) الفيروزابادي، البصائر: (شعر).
(5) ابن فارس، المقاييس، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (وحي).
(6) الراغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (علم)، والكفوي، الكلّيّات، ص: 148.
(7) ابن جرير، جامع البيان: 15/585، 576، والبغوي، معالم التنزيل: 4/221.

الشعور والعِلم:

الشعور أخصُّ من العِلم

العلمُ: هو إدراك الشيء على حقيقته[1]، وقد يكون هذا الشيء واضحًا جليًّا، وقد يكون دقيقًا، وقد يُدرَك من وجه واضحٍ أو دقيق.

أمّا الشُّعور فهو أخصُّ من العِلم؛ لأنَّه ابتداء العلم بالشيء من جهة المشاعر وهي الحواسّ، أو هو إدراك ما دقَّ للطف الحسّ، أو هو عِلمٌ يوصَل إليه من وجه دقيق، وهو مأخوذ من الشعر لدقّته. ومنه الشاعر؛ لأنه يفطن من إقامة الوزن وحسن النظر ودقيق المعاني لما لا يفطن له غيره. وذمُّ إنسانٍ بأنَّه لا يشعر أشدُّ مبالغةً من ذمِّه بأنَّه لا يعلم؛ لأنَّ الإنسانَ إذا قال في آخر: لا يشعر، فكأنَّه نفَى عنه الحسّ والإدراك معًا لا الإدراك فقط، وهو كقوله: لا يحسّ[2].

(1) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (علم).
(2) العسكري، معجم الفروق اللغوية، ص: 372، 373.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 22 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-19-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 22 : المجلد الثاني والعشرون، سورة هود من الآية 115 إلى سورة يوسف الآية 55.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-19-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3382819 بتاريخ 2024/02/13م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»